العرب
الإثنين 2020/10/05
السنة 43 العدد 11841

المستنسخون يوجّهون الحياة بعد فناء الأرض

«أل.أكس 2048»: محنة الاغتراب الإنساني في عالم مستقبلي

لا شك أن الذين يتطلعون إلى المستقبل يرون فيه من الأسرار والتحديات ما لا يراه البشر العاديون، والإمعان في رؤية ذلك المستقبل كان وما يزال أحد الإشكاليات التي تصدّت لها سينما الخيال العلمي، وهو ما يستعرضه فيلم "أل.أكس 2048" للمخرج غاي موشي، لكن وفق طرح نفسي مكثّف.

طاهر علوان
كاتب عراقي

تُتيح بعض التجارب الخيالية – المستقبلية فهما خاصا لدى بعض المخرجين السينمائيين، الأمر الذي ينجرّ عنه في كل عام إنتاج العديد من أفلام الخيال العلمي، إلاّ أن الكثير منها يفتقر إلى الإحساس بحجم التحديات وكثافة الأسرار التي ستواجه الإنسانية في المستقبل، وكأنها خبرة خاصة وخميرة إبداعية تتجسّد لدى بعض المخرجين وكتّاب السيناريو بما يفتقده آخرون.

الفيلم لم يوظّف التعقيدات التكنولوجية المعتادة في الأفلام المستقبلية، بل اشتغل بنجاح على ثيمة الاغتراب الإنساني

وفي فيلم "أل.أكس 2048" للمخرج غاي موشي سوف نتوغل في صورة ذلك المستقبل من خلال سلسلة من المداخل التي تبدو مبسّطة للغاية، لكنها دليل على التمكّن من فهم دقائق وأسرار فيلم الخيال العلمي الذي لا يحتاج إلى الكثير من المتطلبات والإنتاج الضخم في جميع الحالات.

ببساطة شديدة سوف ينقلنا المخرج وكاتب السيناريو أيضا غاي موشي إلى صورة الحياة اليومية بعد أن تم تدمير طبقة الأوزون وصارت الإشعاعات خطرا ماحقا يضرب البشر، ويصبح النهار وبالا على الكل والليل هو وقت العمل، وبذلك تنقلب الحياة رأسا على عقب بالنسبة للجميع، يضاف إلى ذلك بشر يعملون في إدارات ومواقع ولكنهم جميعا مستنسخون.

وحده آدم (الممثل جيمس داركي) الذي سوف يتمرّد على هذا النظام، فهو كائن نهاري يؤكّد وجود وبقاء الإنسان، وهو يذهب إلى مؤسّسته في النهار وينجز أعماله ولو كان وحيدا في بعض الأحيان.

ومع هذا النشاط، إلاّ أننا سوف نكتشف ثلاثة أمور تتعلق بآدم، أولها أنه يعيش آخر أيامه بسبب مرض في القلب وأن ليس بالإمكان استبدال القلب بآخر مزروع، والثاني هو شبه إفلاس لشركته، والثالث هو انهيار حياته العائلية وقرار زوجته طلب الطلاق.

وما إن يعلم آدم خطورة وضعه يذهب إلى أسرته، وهناك سوف تعامله زوجته رينا (الممثلة آنا بريويستر) بغلظة وتتهمه بشتى الاتهامات، ولكن في موازاة ذلك يكتشف أي وضع وصلت إليه تلك العائلة، يدخل على الأولاد الثلاثة والزوجة في غرفهم فيجدهم غارقين في العالم الافتراضي وكل واحد يخاطب نظيره الافتراضي، وكل منهم مرتديا تلك النظارات الذكية التي توصله بعالمه المفضل، فحتى الزوجة غارقة في أجواء من الإبحار الافتراضي التي تعيشها من خلال تلك النظارات السحرية.

واقعيا، نحن أمام إحساس عميق بالاغتراب يعيشه آدم، فكل ما حوله اصطناعي وكائنات مستنسخة، وموظفوه يخاطبهم عبر العالم الافتراضي في غرفة الاجتماعات التي يجلس فيها بمفرده، والوحيدون حتى تلك اللحظة هم زوجته وأولاده وهم كائنات حقيقية، لكن لا سبيل لاستعادة أسرته، فهو الآخر يجد صحبة حميمية مع فتاة افتراضية شابة، وهو ما تكتشفه الزوجة فتزيد من سخطها.

ولنعد إلى تلك اللعبة الطريفة، لعبة الأشباه التي برع فيها المخرج، فهناك في قسم من الفيلم انتقال موضوعي نحو نظائر الشخصيات، إذ يحضر نظير آدم الذي هو في الأصل شرطي يقاسمه يومه، ونشاهد شخصيتين متناقضتين تقيمان جدلا تستمدانه من حيرة هاملت.

وهكذا تتأسّس في هذه الدراما سلسلة علاقات بين الشخصيات ما بين حقيقي وافتراضي وتتجسم الهوّة بين الطرفين، لاسيما وأن نقطة تحوّل مهمة ما نلبث أن نعيشها بعد عودة الزوجة ثم موتها في حادث اصطدام.

يتميّز الفيلم بنسيج من العلاقات يقع آدم محورا لها، فهو الوحيد ربما الذي لا يجد في ذلك العالم الافتراضي ذاته ولا يتمكن من استعادة ما هو أقرب إليه، وبذلك عمد المخرج إلى إيجاد شخصية محورية جسّد فيها صورة الاغتراب الكامل.

وعلى أساس ذلك المسار الذي تتّخذه الشخصيات، تحظر السلطات التي لا نعلم في أية مدينة تكون وفي أية دولة تعمل، تعمد إلى تشكيل حياة المجتمع الذي يغلب عليه المستنسخون بعد فناء أغلب البشر الاعتياديين بتعاطيهم حبوبا تقيهم الإشعاعات وتبقيهم في نشاط دائم، وخلال ذلك يتم تذكير الناس بما يشبه نشرات الأحوال الجوية بأوقات الذروة من الإشعاعات وما تسبّبه من حرائق بالجسم البشري بسبب تسرّبها المباشر في ظل انخرام طبقة الأوزون.

عالم اصطناعي فاقد للمشاعر

سيناريو الفيلم يؤسّس لسلسلة من العلاقات المتشعبة بين شخصيات حقيقية وأخرى افتراضية، مجسّما الهوّة بين الطرفين

ولنعد هنا إلى مجمل العناصر الجمالية التي وظفها المخرج بشكل سلس وإيحاء واقعي تماما، إذ أننا لن نجد روبوتات ولا حرّاسا غلاظا ولا إنزالات من المروحيات ولا كاميرات مراقبة، وهذه كلها تعجّ بها الأفلام التي تعنى بهذه الثيمة في مقاربة قضية المستقبل، هنا ثمة ملامسة واعية لواقع جديد بقيت فيه الشخصيات متوازنة وأقرب إلى الفطرة الإنسانية الطبيعية، إذ يكفي عدم الانتماء والاغتراب الكامل.

ووصولا لكل ذلك، تم توظيف الحوار بشكل مميّز، فهناك جدل متواصل بين البطل وما يقابله من شخصيات وكائنات، سواء بين آدم وزوجته وهي أقرب إلى حواريات الأزواج التقليديين الذين تنشب بينهم المشاكل، إضافة إلى الجدل القائم بين آدم والكائنات المستنسخة التي تحيط به.

وبسبب أن الحياة تدبّ في الليل وليس في النهار، فإن أغلب المشاهد تم تصويرها ليلا، وأما بالنسبة لآدم فذلك النهار هو عالمه الطبيعي، ولهذا تراه يرتدي بدلته الواقية، ويتنقل عبر شوارع شبه خالية من البشر ما عداه هو الذي مارس اغترابه بجميع أبعاده.

معرض فرنسي يجمع بين الستريت آرت والإيكولوجيا

"الغابة الحلزون" هو معرض فني للصغار والكبار في شكل حلزون عملاق يتنقل بين أحياء باريس وضواحيها، ويحتفي داخله قرابة ثلاثين فنانا من فناني الستريت آرت بالإيكولوجيا، باستخدام المواد المهملة وإعادة تدويرها لصنع لوحات ومنحوتات فنية.

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

غالبا ما يُعاب على فن الستريت آرت طابعه العرضي، فالذين يمارسونه، في وضح النهار، وبترخيص من الجهات المعنية، أو سرّا في الدهاليز المظلمة والمصانع والمستودعات المهجورة، يعلمون سلفا أن مجهودهم آيل إلى الزوال طال الوقت أم قصر، وأن جمهورهم محدود إلاّ إذا كانت لوحاتهم تتّخذ الشوارع مسرحا لها.

وبرغم التزام الكثير منهم، وسعيهم إلى تبليغ رسائل، تظل أعمالهم مغمورة لا تبلغ متلقيها إلاّ في القليل النادر. ولكنها حين تتّخذ أشكالا أخرى يمكن أن تجلب أنظار الناس، وتطرح عليهم أسئلتها، كما حصل في هذه التجربة الطريفة التي لا تزال تحظى باهتمام الجمهور ووسائل الإعلام في باريس وضواحيها.

"الغابة الحلزون" هو عبارة عن سرادق ضخم، في شكل حلزون عملاق، هيأته مجموعة من فناني الستريت آرت ليكون فضاء معرض متنقل غايته تحسيس الناس بمكانة البيئة في حياتهم، بأسلوب طريف استُخدمت فيه الأشياء المهملة لتدويرها وتحويلها إلى أعمال فنية، تحتفي بالخضرة والطبيعة وسائر الكائنات الحية.

وبعد أن خيّم مدّة أسابيع في ساحة ستالينغراد وساحة دنفير روشرو بباريس، حلّ هذا الحلزون العملاق ضيفا على ضاحية مالاكوف حتى منتصف شهر أكتوبر الجاري، قبل أن ينطلق في جولة عبر عدة مدن فرنسية.

المعرض من تصوّر الفنان أنيس – واللفظة تعني في الفرنسية نبات الأنيسون – (واسمه الحقيقي هادريان برنار) بالتعاون مع أفراد جمعيته إنزوك، وقد سبق أن أنجز مشروعا ضخما عام 2016 في هذه الضاحية بالذات، حين استدعى أربعين فنانا غارفيتيا لتأثيث ورشة كبيرة بأعمال غرافيتي ضخمة قبل هدم الورشة وتحويلها إلى مساكن اجتماعية.

أما هذه المرة فالثيمة محددة، محورها الغابة وكائناتها الحية، والعمل لم يعد طلي مساحات صقيلة ملساء ببخاخات ألوان، بل إنجاز أعمال ثلاثية الأبعاد.

تجسّد المشروع بفضل تضافر جهود عدة فنانين ملتزمين بقضايا البيئة، تعاونوا على صنع هذا الحلزون العملاق وطلائه، مثلما تعاونوا على تأثيث فضائه الداخلي، فمهّدوا مساربه وتجهيزاته ومنحوتاته، بعضها نُصّب على الأرض، وبعضها الآخر معلّق في فروع الأشجار وأغصانها على قدر أحجامها لخلق عالم شاعري، هو عالم الغابة، جعلته المشاريع المعمارية الزاحفة خارج العمران، بعيدا عن الناس، لا يرتاده إلاّ قلة منهم.

هو عمل فني يحوي عدة أعمال فنية، يدخله الزائر ليكتشف مناخا غابيا بكل مكوناته، ويكتشف أيضا أعمالا فنية تعكس شخصية كل فنان وأسلوبه، داخل هذا الفضاء الذي تبلغ مساحته ثلاثمئة متر مربع، ويبلغ طوله خمسة وثلاثين مترا، بينما يصل ارتفاعه إلى تسعة أمتار.

ومن خارج هذا السرادق الضخم، يبدو الحلزون العملاق بذيل مذهّب صاغه إيفازي سير، وقوقعة أعدّها وطلاها ميكائيل بيرنس، أما الرأس الذي رُكّب فيه مصباحا سيارة مضاءان فهو من صنع سلاي 2.

عندما يدخل الزائر يصادفه طوطم ضخم ذو ملامح حيوان أعده نوصبي، ثم تشكيلة أوراق ملونة جعلتها الآنسة موريس معلقة تلمع بشكل يسرّ الناظرين. كذلك لوحة حلم السيدة طبيعة كما تصوّرته فيني.

وإذا اجتاز الزائر شجرة صاغها أنيس يمكنه أن يستريح على ذراعي باندا دودو ستيل، أو يحرّك زرافات موسكو، أو يعبر الطبقة الجوية لفاين كي يكتشف عناكب اسْوارْ الضخمة. ثم يواصل مساره الحلزوني وسط أشجار وأدغال حتى باب الخروج، فيكون قد مرّ بعوالم متعددة ترغّب الزائر في احترام الثروات الغابية وتحثّه على حمايتها والمحافظة عليها.

وعلى غرار الحلزون الذي يعيش في تناسق مع البيئة الغابية، تمّ تصوّر "الغابة الحلزون" بطريقة تحترم البيئة، وذلك بإعادة استعمال المواد المهملة، وتحويلها. من ذلك مثلا أن منصة من البولستيرين عادت إلى الحياة في شكل عنكبوت، ومصابيح سيارة صارت مِجسّتي حلزون.

فالمواد المستعملة هنا لا حصر لها، كالحطب والأثاث، وقوارير البلاستيك، وعلب الصفيح، والدّمى المخملية، وبخاخات الألوان الفارغة.. وكلها مأخوذة من مهملات يلتقطها الفنانون في مختلف أرجاء المدينة، في الخرائب، في المصانع المهجورة، على قارعة الطريق.

«الغابة الحلزون»، معرض فني للصغار والكبار محوره الغابة وكائناتها الحية، أتى في شكل أعمال ثلاثية الأبعاد

وقد حصل أنيس ورفاقه على منصّات بولستيرين من مهملات مغازة "غاليري لافايات"، وألواح متروكة بعد عرض أزياء ديور في متحف رودان، وخزانات دراجات نارية لم تعد صالحة للاستعمال، أي أنه معرض ولد من فضلات مجتمع الاستهلاك، وغايته دفع الزوار، كبارا وصغارا، إلى التساؤل عن مصير مهملاتهم، وإعادة النظر في ما ينتهي استعماله عندهم، حتى يكون مصدر خلق وإبداع، وليس مجرد شيء ينبغي التخلّص منه. وتبقى الغاية عمليا احترام الطبيعة بالحدّ من الفضلات، وفنيا قبول فكرة أن يكون الجميل غير منفصل عن الجديد.

يحسب لهذا المعرض أنه لم يقدّم صورة متشائمة عن الطبيعة وما آلت إليه بسبب التلوّث وهدر الطاقات والاحتباس الحراري، بل ركّز على أهمية الإيكولوجيا (وضرورة تدوير المواد المستهلكة)، في ثوب قشيب حوّل أجواء الغابة إلى نشيد يتغنّى بالطبيعة.

احتفاء بالخضرة والطبيعة وسائر الكائنات الحية

أنظر من النافذة

فاروق يوسف
كاتب عراقي

قبل سنوات عديدة رأيت لوحة سلفادور دالي "فتاة تنظر من النافذة". لم تكن لوحة سريالية. كعادته كان دالي متمكنا من حرفته بحيث كانت بشرة الفتاة تلمع من تحت ثوبها. السؤال الذي علق في ذهني يومها "ما الذي تنظر إليه تلك الفتاة؟".

بعد سنوات قرأت قصيدة للشاعر هنري ميشو يتحدّث فيها عن زوجين كانا قد أغلقا النوافذ في بيتهما، وحين ماتت الزوجة فتح الرجل إحدى النوافذ وصاح "كم تغير العالم". كانت قصيدة ميشو دليلي لفهم لوحة دالي.

العالم يتغيّر ما دامت النافذة مفتوحة. هل قال لوركا في إحدى قصائده "دعي النافذة مفتوحة"، ولكن ماذا يحدث لو كانت النافذة مفتوحة ونحن لا نقف مع فتاة دالي لكي ننظر من خلالها؟ هنا سيقع التناقض.

العالم يتغيّر فيما نحن نبقى على حالنا ولا نشعر أن العالم قد تغيّر من حولنا. ذلك ما يحدث اليوم بالنسبة للكثيرين. فالنوافذ مفتوحة باتجاهات مختلفة على الفن العالمي.

كل الصالات والمتاحف الفنية مفتوحة أبوابها أمامنا ولا نحتاج إلى أن نغادر بيوتنا. فقط علينا أن ننظر من النافذة. ذلك ما لا يفعله الكثيرون.

كان رسام صديق مقيم في باريس صريحا معي حين أخبرني أنه لا يذهب إلى زيارة المعارض الفنية الكبيرة خشية أن يتأثّر. كانت ثقته بنفسه أضعف من أن يعرضها لتجربة من ذلك النوع.

ما نحتاجه فعلا هو ذلك النوع من الصدمات التي تتعلّق بالثقة. سنرى ونتأثّر ونتغيّر. ذلك فعل إيجابي. غير أن رساما نجح في اختراق السوق بأسلوب معيّن سيكون خائفا من أن يضربه التغيير. لن يكون ذلك التغيير لمصلحته.

ربما سيكتشف ذلك الرسام أنه قد أخطأ حين لم يدن من النافذة التي كانت مفتوحة. كان في إمكانه أن يكون رساما أفضل غير أنه لم يفعل.

إن أسوأ ما يفعله رساموننا أنهم يتحرّكون في دوائر ضيقة. كل واحد منهم يعتقد أنه أنجز أسلوبه الذي سيبقى معه حتى الموت.

سلفادور دالي رسام الصدمات المحفّزة على الابتكار